الأنوار
في شمائل النبي المختار

تأليف

محيي السُّنة الحسين بن مسعود البغوي

٤٣٢-٥١٦ هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي

قدم له

محمد اليعقوبي

الجزء الأول

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأنوار في شمائل النبي المختار

فهرس إجماليّ

	الصفحة
بين يدي الكتاب	7
المقدمة	17 - 21
المواضيع المتعلقة بما كتب عن النّبي ﷺ	22 - 41
أولاً- كلمة عن السّنة النّبوية	22 - 23
ثانيا- مقدمة في بيان تمايز العلوم من حيث موضوعاتها	23 - 25
ثالثاً- الدلائل	25 - 26
رابعاً- الخصائص	26 - 27
خامساً- المعجزات	27 - 29
سادساً- السّيرة النّبوية	29 - 30
سابعاً- المغازي	31
ثامناً- السّير	31 - 32
تاسعاً- حقوقه ﷺ	32 - 33
عاشراً- الشمائل	34 - 37
حادي عشر- ماألف في موضوع الشمائل	38 - 41
وصف النسخة المخطوطة	42 - 44
عملنا في الكتاب	45 - 46
محيي السّنة وركن الدين الإمام الحسين	47 - 76
ابن مسعود البغوي (٤٣٢ - ٥١٦) :	
١- مراجع الترجمة	49 - 51

	الصفحة
٢ـ التعريف بالبغوي	51
٣ـ نسبته	53 - 51
٤ـ ولادته وتحقيق تاريخها	54 - 53
٥ـ وفاته وتحقيق تاريخها	55 - 54
٦ـ نشأته وحياته العلمية	57 - 55
٧ـ أخلاقه	60 - 57
٨ـ أقوال العلماء فيه	62 - 60
٩ـ مؤلفاته	68 - 62
١٠ـ شيوخه	71 - 68
١١ـ تلامذته	72 - 71
نماذج من صفحات الأصل المخطوط	76 - 73
نص الكتاب مع التخريج والتعليق	١ ـ ٧٨٦
الفهارس	٧٨٧ ـ ٨٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم
بين يدي الكتاب

نحمدكَ اللهمَّ بما أَنْتَ أهلُهُ . سبحانكَ لانحصي ثناءً عليكَ ، أنت كما أثْنَيْتَ على نفسك . فلكَ الحمدُ والثناء ، والْجَدُّ والسَّناء ، والقِدمُ والبقاء ، والعظمةُ والكبرياء ، ماطَلَعتْ ذُكاء ، وعَلَتْ على الأرض السماء .

نسألُكَ أن تصليَ خيرَ صلاةٍ وأتَمَّها ، وأن تُسلِّم أزكى سلامٍ وأكملَهُ على من قُلْتَ في صفته : ﴿ وإنك لعلى خلقٍ عظيم ﴾[1] . الصادق الأمين سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين ، وصحبه الميامين . وعُمّنا اللهم برحمتك ، والمسلمين أجمعين .

ونسألك اللهم العونَ والسَّداد ، ونستوهبك توفيقاً يقود إلى الرشاد . ونعوذ بك من قلب لا يتقلّبُ مع الحق ، ولسانٍ لا يتحلّى بالصّدق . فاكفنا اللهم خواطرَ القلب ، وغوائلَ الهوى ، وحصائدَ الألسنة . إنك سامعُ النّجوى ، ومستجيبُ الدعاء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

☆ ☆ ☆

وبعد ... فإن الأمة الإسلامية اليوم تئنُّ وتتألّمُ ، تشتكي مما تكابده من تفكُّكٍ في الأواصر ، وانحلالٍ في الأخلاق ، وانفلاتٍ من قيود الشريعة ، وبعدٍ عن الكتاب المنير ، وتَرْكٍ للسنة المطهرة . وكأني بها تغدو وتسري ليلَ نهارَ ، إلى غاية تجدُّ في السبق إليها ولا تعرفُها ، ولو رَنَتْ بطرفِ العاقل الخبير ، والناقدِ البصير لرأتْ أنها كالباحث عن حَتفه بظِلْفه ، وكالجاني على نفسه بسَيْفه ؛ إذ تروم خِطّةً ، وتنتهج سبيلاً ، مآلها فناءٌ مبرم ، وهلاكٌ محتم . وفناءُ الأمم ليس بفناء أبنائها ، بل بذهاب دينها وأخلاقها :

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) سورة القلم ، الآية (٤) .

أجل ، فلقد تمكن الفساد وبَزَلَ ، واستفحل الشرُّ وقَرَحَ ، وتراقى الخطبُ وتفاقم ، وألقت أثقالَها بيننا ضروبٌ من الفساد ، وألوانٌ من العادات ، بعد أن ألقى التقليدُ في مجتمعنا بَعاعَه ، وحَطَّ بين أبنائنا متاعه ، وضربَ بِجِرانه ، ومكّنَ لأركانه ، حتى بَعُدت الشُّقة بين الناس وكتاب الله المجيد ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام المطهرة ، وأخلاقه الكريمة .

ولو سَأَلْنا اليوم عن شيء من الفضائل والأخلاق الحميدة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والرحمة ، والصبر ، والتواضع ، لما وجدنا الأجوبة إلا مَزْبورة في الكتب ، ومسطورة في الصحائف ، من القرآن الكريم وكتب السنة والسيرة والشمائل . لكنه غَبَرَ زمان على المسلمين ، كانوا إذا سَألوا فيه عن هذه الأخلاق وجدوها في سلوك الرجال ، وطبائع الناس . فكان الفعل إلى جانب القول لا يريمُ عنه طرفةَ عين ، والعملُ لصيقَ العلم لا يحيدُ عنه قِيدَ أُنملة ، أو قل : كانت صورُ الأخلاق قائمةً في النفوس تَزِينُها جمالاً وكمالاً ، وبهاءً وسناء ـ إذ الجمال جمالُ الأخلاق ، والكمال كمال النفس ـ .

ليس الجمالُ بمئزرٍ ... فاعلم وإن رُدِّيتَ بُرْدا
إنَّ الجمالَ معادنٌ ... ومناقبٌ أَوْرثْنَ مَجْدا

فكنتَ ترى النفوس راضيةً مطمئنة ، مذعنةً لكتاب الله فهو إمامٌ لها ، راضيةً بحكم الله فهو آخذٌ بنواصيها ، متبعةً لسنة رسول الله ﷺ فهي المالكةُ عليها أمرَها ، متأسِّيةً بأخلاقه المطهرة ، وشمائله الحميدة ، تجري في عروقها قبل الدَّم ، وتتمكن من دخائلها ، حتى لَتسبقُ شعورَ الإنسان بذاته ووجوده .

كانوا يقرؤون قول الله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾[1] . وقوله سبحانه : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلماً ﴾[3] . وقوله عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥٩) .
(٢) سورة الحشر ، الآية (٧) .
(٣) سورة النساء ، الآية (٦٥) .

يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[1] . فتخشعُ قلوبهم لآيات الله وكلامه ، ويعرفون لأوامره ونواهيه حقها ، فيأتون ما أمر ، ويذرون ما نهى . ويسلكون من العمل نهجاً واضحاً ، ومَهْيعاً نيِّراً ، تَزْكُو به أنفُسُهم ، وتصلُح به سرائرهم ، وتسعَد به أحوالهم ، وينتظم بالتمسك به أمرُ المجتمع ، فإذا هو كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحُمِهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »[2] . « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً »[3] . وتجد المؤمن لأخيه طَوْع الْجِنابِ ، سَمْحَ الْمَقادَة ، ليِّنَ العريكة ، كريمَ الخليقة ، مُقَوَّمَ الشِّيَم ، مَحْضَ الضَّريبةِ شريفَ الأخلاق .

ولن تجد وأنت تبحث عن أسباب سعادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة أجمعَ من حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي : كتاب الله ، وسنتي »[4] . فهما حرزُ النجاة ، وسبيلُ العز ، وداعيةُ الفلاح . تمسكنا بهما فسُدنا ، وكنّا بُناةَ حضارةٍ أَرْسَتْ دعائِمَها الأخلاقُ ، وشدَّ من أَزْرها العلمُ . ملكتْ أسبابَ الحياة ، وجمعتْ أطرافَ العلم ، وبسطت على شرق الأرض وغربها رِواقَها ، فأظلَّتْ شمسُها العالم بعد ليل حالك ، وظلام دامس . وما ذلك إلا لأنهم شادُوا بنيان حضارتهم بالدين ، فهو لهم أُطُمٌ مَشيد ، وأقاموا عماد ملكهم على الأخلاق ، فهي لهم لأُمةٌ سَابغة .

ولا تحسبنّ ماتراه اليوم من آلات ومخترعات تأخذُ بأعين الناظرين حضارةً وتقدُّماً ، فليست الحضارة آلاتٍ ولا صناعات ، كما أنّ تقدُّمَ الأمم لا يقاسُ بما تملكه من هذه وتلك . إذ الأخلاق ـ كما بيَّنْتُ ـ هي أسُّ الحضارة وأساسها ، ورقيُّ الأمم مدارج الكمال الروحي والْخُلُقي هو المعيار الأوفى لبيان حقيقة التقدم الذي تتسمى به ، وكشفِ زيفه وبهرجه . ولعلّي لا أبالغ إذا قلت : إن لُبَّ المشكلة اليوم يكمن في انبهار أبصار فريق من الناس بما يسمونه (حضارة وتقدماً) في دول الغرب ، يتبعه عَجَبٌ شديدٌ ، يقود إلى تقليد أعمى ، واتباع لهم في مناحي الحياة جميعها . تلك هي المشكلة ، وما أدري كيف يصحُّ ـ بحال من

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . الجامع الصغير .

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري . الجامع الصغير .

(٤) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة . الجامع الصغير .

الأحوال ـ أن نُسلسَ قياد أفكارنا لقوم صحّ لدينا أن أيْديَهم من الأخلاق صُفر ، وأن مجتمعَهم من الفضائل خلو ، وقد عَزَبَ عنا ، وغابَ عن أذهاننا أن (مدنيتهم) صائرةٌ بهم إلى الفناء ، وأنهم لا يجنون منها إلا عُقَداً ، وأَزَماتٍ ، ومُشكلات ، لأنهم أسقطوا من حساباتهم الدينَ والأخلاق ، فهم يحفرون أجداثهم بأيديهم .

والأسوة الحسنة بلا امتراء ، هي الردُّ القوي ، وهي السلاح المتين ، الذي يحمله المسلم فَيُمَيِّزُه عن كل من أخلد إلى الأرض ، وأترع كؤوس الشهوات . ومع قول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ تنتهي الأقوال ، وتتلخص الكلمات . فالأسوة الحسنة هي البلسمُ ، بل الإكسير الذي يُنهض المجتمع من عِثاره ، ويهزُّ الأمة لتصحوَ من رُقادها ، فتبلغَ حيثُ لا مُرتَقى لهمة ، ولا مُطَّلَع لناظر .

ففي سيرة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام خير دليل لنا اليوم ، ونحن نخبطُ في ظلام الحياة . وفي أخلاقه الطاهرة خير مثال نحذو حَذوه ، ونتلو تِلوه ، نقصُّ أثره ونَتَّبع قصدَه ، نَأْتمُّ به ونَتَسَيَّمُ بسيماه ، نَقْتاسُ به ونَسْتَنُّ بسنته . لنجتاز بيداً ضاقت علينا فيها السبل واستعجمت ، والْتَوت المسالك واشتبهت ، فنمحوَ عنا عَمايَاتِ الفسادِ ، وغشاوات الجهل .

ومن تخلق بأخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام كان في أعزِّ جوار ، وأمنع ذمار ، تقيه غوائلَ الدارين ، فينقلبُ بالسعادتين . أو لا يكفي قول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة أحاسنَكم أخلاقاً »[1] وقوله ﷺ : « ما من شيءٍ أثقلُ في ميزان العبدِ يومَ القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحشَ البذيءَ »[2] . « إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم ، ولكن يسعُهم منكم بسطُ الوجه ، وحسنُ الخلق »[3] .

فتقريبُ سيرته ﷺ إلى الناس لتخالطَ نفوسهم ، وبسطُ شمائله الحميدة ، وأخلاقه

---

(١) من حديث أخرجه الترمذي عن جابر . الترغيب والترهيب .

(٢) أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي الدرداء . المصدر السابق .

(٣) أخرجه أبو يعلى والبزار عن أبي هريرة . المصدر السابق .

الكريمة ، مع حسنِ تفصيلٍ ، وكمالِ ترتيب وتبويب . وبيانُ ضرورة التحلي بها ، واتباعِها ، هو أمثلُ طريق وأقومُ سبيل لحسْمِ الفساد ، وكسر شوكةِ الباطلِ ، وفَلِّ شباته . بل إنه مَرقى العز ، وسُلَّم السعادة ، ومَنْزعُ الأمانيّ .

☆ ☆ ☆

وما هذا الكتاب (الأنوار في شمائل النبي المختار) ﷺ إلا واحد من تلك الكتب التي أُفردت للحديث عن شمائل النبي الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وأخلاقه الكريمة ، وسجاياهُ الحميدة ، من رحمة . وحلم . وتواضع . ولين جانب . وكرم . وبرّ . وإيثار . وحلم . وشجاعة . وصبر . وصدق . وأمانة . ووفاء . وليس من المغالاة في شيء أن يكون هذا الكتاب أوسع ماأُلِّفَ في الشمائل ، وأجمعَ ما وصلَ إلينا في بابه ، ضمَّ بين دَفَّتيه ألفاً ومئتين وسبعةً وخمسين حديثاً نبوياً ، موزعةً على مئة واثنين من الأبواب ، مذكورةً بأسانيدها المتصلة من المؤلف إلى النبي ﷺ . ومؤلفه هو إمامٌ جليل ، ومحدثٌ نبيه ، وفقيهٌ شافعي كبير ، وهو محيي السُّنة أبو محمد الحسينُ بن مسعودٍ البغويُّ ، المتوفَّى سنة (٥١٦ هـ) ، وستأتيك أخبارُه من بَعْدُ .

ولهذا الكتاب ونشره قصةٌ وتاريخ ، منذ ستةَ عشر عاماً خَلَتْ ، لعلّ من حق القارئ أن يعرفَ مراحلها ، ثم إنّ من الأمانة ذكرَ الفضل لأهله ، ومن الحق أن لا يتحول الإنسان عن الحق . إذ الفضلُ الأول في معرفة هذا الكتاب ، والدأب على نشره ، والحثُّ على إخراجه ، كان لرجل من كرام الناس وخيارهم ، ومن أفاضل العلماء وأشرافهم ، ذلك هو فخر الدين الحسني رحمه الله تعالى ، حفيدُ المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني تغمده الله برحمته . فهو أولاً مالكُ النسخة المخطوطة الأصليّة الفريدة من هذا الكتاب . وهو ثانياً من قام بنسخها بخطه الجميل عن ذلك الأصل سنة ١٣٩٣ هـ . فمكثت في خزانته برهة من الزمن ، ثم دُفعت من بعدُ مع الأصل إلى علامة الشام الشيخ إبراهيم اليعقوبي وهو والدي وسيدي رحمه الله تعالى ، فأَوْلى هذا الكتابَ جزءاً من عنايته ، وخصَّه بفُسحة من وقته ، وكان ذلك أوائلَ سنة (١٤٠١ هـ) ، وانتهى من العمل فيه أواخر ذلك العام .

وكان قد نهد لنشر الكتاب رجل كريم ، وأستاذ فاضل من بيت مجد وعلم وشرف هو المرحوم محمد عزيز عابدين ، نجل مفتي الشام العلامة الطبيب الشيخ محمد أبي اليسر عابدين

تغمده الله بالرحمة والرضوان . وما لبث يسعى سعياً حثيثاً لإخراجه ، لا يألوه جهدَه . يصرفُ إليه عنايته ، ويستنفد فيه وسعه ، حتى إذا انتهى تنضيدُ أحرف الكتاب ، وابتدأْتُ قراءتَه على سيدي العلامة الوالد رحمه الله لتصحيحه ، وأوشك الأمرُ أن يتمَّ اخترمت المنية عزيزاً رحمه الله فاختاره الله إلى جواره ، واختطفَتْهُ المنونُ وهو في قمة عطائه يخدم كتاب الله ، فمضى راضياً مرضياً .

وما لبث الدهر أن جَرَّعنا غُصَّةً مُمضَّةً ، إذ اختلست شَعوبُ[1] نهزةً من الزمن ، تخيرت فيها سهام الحِمام العلامة اليعقوبي الوالد إلى جوار الله تعالى ، قبل أن يرى كتابه غَضّاً جَنِيّاً ، وقد تركه أمانةً بين يديّ ، أحملُ عِبْءَ متابعة تصحيحه وصنع فهارسه والبحث له عن ناشر .

وكان فخر الدين الحسني رحمه الله يشدُّ من أزري ، ويحثُّني على نشره ، وكان يحبُّ أن يراه ، وقد كان أثيراً لديه محبباً إليه ، وشاء الله تعالى أن يختارَهُ إلى جواره ، ولم ير الكتاب منشوراً فمضى إلى ربه حميداً .

وبقي الكتاب رهينَ الخزائن حتى قَيَّضَ الله له من الناشرين من ينتدب لنشره ، ويحمل على كاهله هذا العبء ، رافعاً بذلك ـ جزاه الله خيراً ـ حِملاً ناء به من قبلُ كثير .

ولقد عشت ـ والحمد لله ـ مع هذا الكتاب أسعدَ وقت ، إذ قرأتُه كلَّه على محققه رحمه الله تعالى ، أثناء مقابلته على الأصل المخطوط ، ثم قرأتُ عليه نَحْوَ رُبُعه خلالَ التصحيح ، وتابعت بعد ذلك قراءته وأتممت تصحيحه بعد وفاة العلامة الوالد ، وكان لابد من قراءته مراتٍ خلال صنع الفهارس التي وعد بها المحقق العلامة الوالد رحمه الله تعالى ، فأعددتها كما وعد بها ، وأهمُّها فهرس أطراف الأحاديث النبوية ، وهو قسمان ؛ رتبت في الأول الأحاديث القولية حسب ترتيب الأحرف الأبجدية ، ورتبت الأحاديث الفعلية في الثاني حسبَ مسانيد الصحابة على الترتيب الأبجدي لأسمائهم ، إلا أصحابَ الكنى فقد رتبوا آخر الفهرس حسب كناهم ، بإسقاط كلمتي (أبو ، أم) . كما أن أحاديث الصفات الداخلة في باب (كان) وضعت في مكانها من الأقوال ، وإن يكن ثمة في الفهارس من فَوْت أو خلل ،

---

(١) من أسماء المنية .

فذاك مني ، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر . ومن رأى خطأ فدلَّنا عليه كان له منا الشكر ، ومن الله الجزاء الأوفى ، مع الوعد بأن نستدرك مثل ذلك في نشرات قادمة إن شاء الله تعالى .

☆ ☆ ☆

أما محقق هذا الكتاب السيد الوالد ، العلامة الكبير ، الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، فإن له عليّ فضلاً ماأظنُّ أنَّ بي قدرة أو مُكنةً على أن أوفِّيَه بعضه . وله على العلم وأهله وطلابه أيادٍ جليلةٌ لا تقوم بها الكلمات ، ولا يبلغُ بعضَها المديحُ والثناء ، وهو أزهد الناس فيها ، لكن من حق قراء هذا الكتاب أن يعرفوا قبساً من سيرته ، وموجزاً عن حياته[1] .

ولد رحمه الله بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م وكان والده الشيخ إسماعيل اليعقوبي من العلماء الزاهدين الصالحين معروفاً بالولاية فيما بين الناس .

حسني إدريسي أباً وأماً ، نشأ في بيت عريق في العلم ، وتربى في وسط علمي بين أبيه وعمه الشيخ محمد الشريف اليعقوبي إمام المالكية في الجامع الأموي ، وخاله الشيخ محمد العربي اليعقوبي إمام المالكية من بعدُ في الجامع الأموي . وتلقى علومَ القرآن والحديث ، والفقهَ بمذاهبه الثلاثة (الحنفي والشافعي والمالكي) ، والأصولين (أصول الفقه وعلم الكلام) ، وعلومَ الآلة (من لغة وأدب ونحو وصرف وبلاغة ووضع وعروض) ، والعلومَ العقلية (من منطق وفلسفة ومناظرة) ، تلقاها على كبار علماء عصره ، وقد أفرد لأشياخه ثبتاً خاصاً .

حفظ منذ صباه عشرات المتون المختصرة منها والمطولة في مختلف العلوم ، ومنها مالا يسمع أحد بذكره الآن ، حتى زاد ماحفظه منها على ثلاثين ألف بيت . ومما كان يحفظه الكافية الشافية لابن مالك ، وكفاية المعاني للبيتوشي ، والجوهر المكنون للأخضري ، ونظم الشمسية في المنطق ، والكواكبية في الأصول ، ونظم مختصر المنار ، والزبد في الفقه الشافعي ، والمرشد المعين في الفقه المالكي ، ومعونة الرحمن في الفقه الحنفي ، والشيبانية في العقيدة ، والعاصمية في القضاء ، هذا سوى المشهورات مما يحفظه صغار الطلبة ، على أني لم

---

(١) اجتزأنا بهذه الإلمامة من سيرة العلامة الوالد ، ونعد أن نكتب في ذلك مؤلفاً وافياً إن شاء الله تعالى .

أستقص ، وحفظ من عيون الشعر العربي كثيراً ومن الدواوين الحماسة وأكثر المفضليات ، وحفظ مقامات الحريري . كل ذلك استظهره في صباه وشبابه .

ثم مكّنته حافظتُه القوية وتدريسُه للمتون والشروح من حفظِ كثيرٍ من عبارات العلماء ، فكان إذا سُئل يجيب ، فلا يخطئُ عبارةَ الكتاب . وحسبكَ أنه أقرأ مغني اللبيب لابن هشام أزيدَ من عشرين مرة ، والهداية للمرغيناني نحواً من ذلك .

كان له دأبٌ على العلم عجيب ، وصبرٌ على نفسه طويل ، يصلُ ليلَه بنهاره ، ولذلك فقد كان لجهده الشخصي أثر كبير في نبوغه حتى صار ضليعاً في معظم الفنون ، وقيل عنه : « إنه في كل فن أعلمُ به من أهله » . مع تحقيق للمسائل العويصة ، وحلٍّ لما استغلق منها ، وكان لذلك مرجعاً لكثير من علماء عصره ، وعمدةً في المذهبين الحنفي والمالكي .

جمع رحمه الله إلى العلم عملاً ، وضمَّ إلى العمل إخلاصاً ، فعرف بأنه (فقيه النفس) . كان ذا شفافية صوفية ، متميزاً بالتواضع ، متحلياً بالتقوى والورع ، لا يبخل على طالب علم بدرس ، ولا يضِنُّ على سائل بوقت ، لا يشتغل إلا بعلم أو بذكرٍ لله تعالى .

كان لدرسه سِماه الخاصة ، فهو درس قد يستمر ثلاث ساعات ، يتكلم فيها بما أفاض الله عليه مستظهراً أقوال العلماء ، ذاكراً اختلافاتهم وأدلّتهم ، يبسط الكلام في أدق المسائل ، فلا يتركها حتى تكون كالشمس جِلاءً ، وكان كريماً في العلم ، تميز بدقة الفهم وسَعة الشرح ، ولا يترك درسه قبل أن يوجه طلابه ، ويُعنَى بتهذيبهم ، إذ العلم والتربية عنده صنوان .

كان خطيباً فصيح المنطق ، وكان أديباً شاعراً مجيداً ، ترك ديوان شعر فيه مطولات جياد .

درّس في مساجد دمشق نحو أربعين سنة ، وأمَّ الناس في عدد من المساجد منها الجامع الأموي ، وخطب في عدد من منابر دمشق ، وكان منزله مفتوحاً لطلبة العلم والمتخصصين يفدون إليه ، فينهلون من علمه ، يفتي ويُدَرِّسُ ، ويكتب ويؤلف ، ويربي ويوجه ، مع زهد في الدنيا ، وميلٍ إلى العزلة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩٨٥/١٢/٦ م فبكته دمشق ، وشيَّعَتْهُ في جنازة مهيبة ، وأبَّنَهُ علماؤها وطلابه ، فأثنَوْا عليه بما هو أهله .

ترك مصنفات تبلغ نحو الخمسين ، بين كتب ورسائل ومنظومات ، ومخطوطات حققها ، أو متون شرحها ، أكثرها مازال مخطوطاً ، طبعت منها رسالة بعنوان (شفاء التباريح والأدواء في حكم التشريح ونقل الأعضاء) . ونَعِدُ أن تصدر تباعاً يتلو بعضها بعضاً ، بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

أسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة ، وأن ينزل عليه من شآبيب رحمته وفضله ، ما يسقي ثراه بوابل من الحسنى والإحسان ، والكرم والرضوان . إنه تعالى سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في / ربيع الآخر / ١٤٠٩ هـ

محمد اليعقوبي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين ، تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ، وجمع فيه من الأخلاق الكريمة والشمائل الفريدة والمزايا الحميدة ما يكون نبراساً للمؤمنين وهادياً لهم إلى طريق الحقّ والصراط المستقيم . وأرسل رسوله الكريم سيدنا محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون ونَعَتَهُ في كتابه الكريم بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ ﴾[1] ، كما وصفه بقوله : ﴿ وإنكَ لعلى خُلُقٍ عظيمٍ ﴾[2] ، وأمره بقوله : ﴿ واخفض جناحكَ لمن اتبعكَ من المؤمنين ﴾[3] ، وقال له عزّ وجلّ : ﴿ ياأيُّها النَّبي إنا أرسلناكَ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً ☆ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ☆ وبشر المؤمنين أنّ لهم من الله فضلاً كبيراً ☆ ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾[4] . وخاطبه بقوله : ﴿ ولو كنت فظّاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك فاعفُ عنهم وشاورهم في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكل على الله ﴾[5] ، ونعته وأصحابَه الكرام بقوله : ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معهُ أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم تراهم ركَّعاً سُجَّداً يبتغونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثرِ السُّجود ذلك مثلهم في التوراةِ ومثلُهم في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شطأهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سوقه يعجبُ الزُّرّاعَ ليغيظَ بهم الكفار وعدَ الله الذينَ آمنوا وعملوا الصّالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾[6] .

---

(١) سورة التوبة (١٢٨) .

(٢) سورة القلم الآية (٤) .

(٣) سورة الشعراء ٥٦ الآية (٢١٥) .

(٤) سورة الأحزاب الآيات (٤٥ ـ ٤٨) .

(٥) سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

(٦) سورة الفتح الآية (٢٩) .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وتخلّق بأخلاقه وسار على سَنَنِه وعمل بسُنته إلى يوم الدِّين .

أما بعد .

فهذا كتاب « الأنوار في شمائل النَّبي المختار » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار ، للإمام الهمام المفسِّر لكتاب الله تعالى المتقن ، والمحدّث الجليل والفقيه البارع المتمكن ، الملقب بمحي السّنة بحقّ ، والمنفرد بذلك بصدق ، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه ، وأكرم نزله وجعل الجنة ودار الفردوس مآبه . نقدمه لأحباب رسول الله ﷺ - الذين يحرصون على هديه واتباع سنته ويتحرون منهجه ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ليكون لهم خير نبراس يستضيئون به في ظلام الأيام الدامس ، وتقلبات الليالي الحالكة ، ليفوزوا بالعمل به وتتبع آثاره ﷺ بالسعادة في الدنيا والفوز في الأخرى - بعد أن قمنا ببذل الجهد في تحقيقه وضبطه وتخريج نصوصه من مصادرها على وجه نرجو من الله تعالى أن نكون قد وفقنا فيه إلى مقاربة السداد والصواب إنه على ما يشاء قدير .

وهذا الكتاب من أجلِّ كتب الشمائل النّبوية والأخلاق المصطفوية ، التي جاءت في صحاح كتب الحديث والمسانيد والمعاجم ، وغيرها مما انتهى إلينا من تراث الإسلام العظيم . فهو من أجلِّها ترتيباً وتنقيحاً ، وتوثقاً وإحكاماً ، بحيث إن المؤلف أحاط أو قارب بجوانب ما ألّف فيه وكتب من أجله .

والكتاب في حدّ ذاته يدلنا على مدى سعة اطلاع مؤلفه في فنون الحديث دراية ورواية والمعرفة بعللها مع أمانة في النقل ودقة في التحقيق .

ولقد أولى المصنف رحمه الله تعالى هذا الكتاب عناية فائقة فهو يحسن انتقاء الأحاديث في موضوع الكتاب من مرويات أهل العلم والثقة والعدالة والضبط من رواة الحديث النَّبوي الشريف من أهل الصنعة ، ممن لهم الإمامة من أهل عصره ، فهو ينقل عن شيوخه الذين تلقى عنهم بالسند الكامل إلى النَّبي ﷺ من طريق أحد كتب السّنة من صحاح ومسانيد ومعاجم وأجزاء وغير ذلك مما صح سنده عند كبار أئمة هذا الشأن كالبخاري ومسلم وغيرهما ، ولا يذكر من الضعيف إلا ماندر ساكتاً عنه في بعض المواضع وناقلاً أو مبيناً في بعض المواضع الأخرى كقوله « فلان ضعيف » .

والباعث له على تأليف هذا الكتاب ، وجمع هذه الأحاديث الكثيرة فيه حول موضوع شمائل النَّبي ﷺ ما كان يتوخاه من تعريف الناس والمسلمين بما كان عليه النَّبي ﷺ من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم في جميع شؤون حياته ﷺ . على أنك لو راجعت كتب الحديث النَّبوي والسِّيرة العطرة لوجدت الكثير منها يحوي في طياته وبين ثناياه الشيء الكثير من أخلاقه وشمائله ﷺ فضلاً عما يحمله من أحكام في الاعتقاد أو العبادات أو المعاملات أو غيرها . ومراده بذلك أن يتعرف المسلمون على دقائق هذه الأخلاق جليها وخفيها ، ويتعرفوا مواطنها فيتخلقوا بها ويعملوا على السير على منهجها عملاً بقول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[1] .

وقد رتب المصنف كتابه في هذا الموضوع موضوعِ الشمائل على أبواب مما هو مختص بالشمائل الشريفة كأبواب حلمه وعفوه ورحمته وشفقته ، وحيائه ، وشجاعته ، وجوده ، وصلاته وخطبته ، وصومه وفطره ، وفي صفة لباسه ﷺ وذكر قميصه وجبته وإزاره ، وفي ذكر رمحه وسيفه وقوسه ونبله ، وفي ذكر طعامه وإدامه وما كان يحب منه ، وفي ذكر سفره واستقباله ورجوعه ، وفي دعواته ، وفي مرضه ووسيته ووفاته وسِنِّه ، وفي وجوب محبته ﷺ ولزوم متابعته وإحياء سنته . إلى غير ذلك من الأبواب التي تذكر في الشمائل عادة ، وهو يحرص أشد الحرص على أن يسوق في كل باب صحاح الأحاديث ، ويبين في عنوان الباب وجه مأخذ الشمائل منها كباب خوفه من الله عز وجل وباب استعذابه للماء وباب شعاره في الحرب . كل ذلك فضلاً عما تحمله تلك المجموعة العظيمة من الأحاديث الكريمة من أحكام في سائر أبواب العقائد والعبادات والمعاملات تفصيلاً من ما هو مأخذ للمجتهدين في أحكام الشريعة الغراء .

☆ ☆ ☆

وللمصنف اليد الكبرى في جمعه وتتبعِه تلكَ الكثرةَ من الأحاديث في موضوع الشمائل مما قل أن يتنبه له مصنفٌ أو يجمع مثله أحد ، من حيث الكم والكيف . أما من جهة الكيف : فهي من صحاح الأحاديث وأكثرها مما هو في البخاري ومسلم أو غيرهما من كتب السنة الموثوقة كما بيَّنا ذلك في تخريجنا للأحاديث . وأما من حيث الكم : فقد بلغت

(١) سورة الأحزاب الاية (٢١) .

أحاديث الكتاب بالسند المتصل إلى النبي ﷺ سبعاً وخمسين ومائتين وألفاً من الأحاديث الشريفة ، مما هو واضح الدلالة ظاهر في موضوعه لاإشكال فيه ولا لبس ولا غموض ، فهو يسوق في كل باب من أبواب الكتاب التي بلغت مائة وواحداً ، يسوق ما يتعلق بذلك الباب الذي ترجم له من دواوين السنة النبوية المعتمدة وكتبها الصحيحة التي تلقاها عن شيوخه بالسند المتصل إلى مؤلفيها إلى رسول الله ﷺ بحيث لا يحيد عن المبدأ الذي التزم به من ذكر السند إلى النبي ﷺ .

ثم بعد أن ينتهي من الباب يُتبعه بالباب الآخر منتقياً الأحاديثَ المنطبقة على ماذكره في عنوان الباب وترجمته ليكون موضوع الشمائل واضحاً متكاملاً وإن كانت تلك الأحاديث كما سبق تحمل في طياتها مواضيع أخرى كالسيرة والمغازي والمعجزات والخصائص .

ولقد وفق المؤلف رحمه الله تعالى في جمعه ماتناثر من أحاديث الشمائل في الصحاح والمسانيد وبين ثنايا السنن والمعاجم والأجزاء فكان كتابه جامعاً غير مخل بشيء مما يتعلق بموضوع الكتاب ، وإن كانت هناك روايات أخرى وأحاديث كثيرة مما يدور حول هذا الموضوع فإن ماذكره المصنف من الأصول الصحيحة المعتمدة والكتب المشتهرة فيما بين أهل هذا الفن من أجود الطرق وأصحها يغني عن ماتناثر هنا وهناك مما يكون مرده ومرجعه إلى ماذكره المصنف .

فيحق لقائل أن يقول ، إن المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه قد جمع في كتابه فأوعى ، وأبان وأظهر ، وحقق ودقق ، وتتبع فأوغل ، وانتقى فأحسن . فالحق أن يقال : إن هذا الكتاب يمثل الجوانب الكثيرة المتعددة من شمائل النبي ﷺ في أخلاقه وأقواله وأفعاله وأحواله .

☆ ☆ ☆

كل هذا على أن مقام رسول الله ﷺ أبعد من أن ينال ، وأعلى من أن يدرك ، وأخلاقه وشمائله أعظم من أن توصف ، وأجل وأكثر من أن يحاط بها .

فهو ﷺ منبع الأخلاق ومبعث الفضائل والشمائل ومحاسن الأفعال ومكارم الشيم ، فلا حد لوصفه يوقف عنده ، ولا قدرة لأحد من المخلوقين على أن يبلغ بعض ماحازه النبي ﷺ